

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة  
في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٣)

علي رضا بناهيان



PANAHIAN.NET

الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ  
المكان: مسجد الإمام الصادق (ع) في مدينة طهران  
الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة  
في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٣)

**إليك ملخص الجلسة الثالثة عشر من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق (ع) في مدينة طهران.**

## **إن موضوع العناء موضوع تربوي وعرفاني بمستوى عال / لا يمكن نيل الحبّ لله بلا عناء**

لقد طرحنا في الجلسات الأخيرة بعض الأبحاث في آثار العناء وبركاته وضرورة الاهتمام بهذه الاستراتيجية والرضا بالمعاناة التقديرية والتكليفية. ومن جملة ما ذكرناه في الجلسة السابقة هو أنه لا يمكن نيل الحبّ لله بلا عناء. فمن اشتمل على حبّ الله في قلبه، يودّ النصب والعناء في سبيل الله. إن موضوع العناء أعمق وأرقى مستوى من أن نبقى نقول: «الكبد والعناء من ذاتيات هذه الدنيا». إن شأن العناء أعلى وأشرف من هذا المستوى وإنه يتضمن بحثا تربويا وعرفانيا راقيا.

## **من صعوبات المعاناة هو عدم المعرفة بأسبابها وأهدافها**

لا يمكن الاهتمام بموضوع العناء وكسب آثاره التربوية بلا برنامج، فلا بدّ أن نتعرف على «برنامج العناء» في كلا صعيدي التكليف والتقدير. لا شكّ في أن العناء الخالي من البرنامج لا يكون عناء جيدا ولا يترك آثارا جيدة على روح الإنسان. أما «العناء المبرمج» فلا بدّ أن يكون مصمّما على يد مدرب ومدير ومصمّم بارع، وهو الله سبحانه ربّ العالمين. فلنعرف أن معاناتنا في الحياة مبرمجة من قبل ربّنا عز وجل. من صعوبات المعاناة هي أنك جاهل بأسبابها وأهدافها. عندما يفرض مدرب كمال الأجسام بعض التمارين على أعضاء الفريق، غالبا ما يوضّح لهم الهدف من هذه التمارين الصعبة ويخبرهم بآثارها على عضلاتهم، بيد أن الله سبحانه لا يتحدث عن فلسفة البلى والمعاناة التي يفرضها علينا بشكل خاص، ولكن يجب أن تؤمن وتثق به وتتوكل عليه.

## ما هي علاقة العناء بإحساس لذة الإيمان؟

من المسائل المهمة في قضية العناء هو أن نعرف ما يرتبط به من القضايا. فعلى سبيل المثال، يرتبط العناء بعشق الله والصبر. أما إحدى القضايا المهمة التي ترتبط بالعناء هي «الإيمان». انظروا إلى هذه الروايات فقد قال رسول الله (ص): «مَنْ كَانَ أَكْثَرَ هَمِّهِ نَيْلَ الشَّهَوَاتِ، نَزَعَ مِنْ قَلْبِهِ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ» [مجموعة ورام/ج ٢/ص ١١٦] وقال الإمام الصادق (ع): «حرامٌ على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا» [الكافي/٢/١٢٨]. ما هي حلاوة الإيمان؟ هل من الحلاوة أن يعيش الطفل تحت ظل والديه وينمو في أحضانهم؟ هل من الحلاوة أن يكون الإنسان صاحب زوجة وأهل وأسرة؟ وهل من الحلاوة أن يعاد المريض في فراشه إذا مرض؟ وهل من الحلاوة أن يحظى الإنسان بصديق حميم وعزيز؟ وهل من الحلاوة أن يحظى الإنسان بإعجاب وتشجيع الناس؟ كل هذه الحالات حلوة وجميلة، ولكن حلاوة الإيمان أقوى وأشد حلاوة منها، وإذا ذاق الإنسان حلاوة الإيمان سينسى طعم غيره من العلاقات الحلوة.

## الإيمان يخرج الإنسان من وحشة الوحدة

الإيمان يخرج الإنسان من وحشة الوحدة ويجعل الله أنيسه ومونسه. الإيمان بالله يقرب إليك أرحم موجود في العالم. الإيمان بالله الرحمن الرحيم يؤدي إلى نتائج عجيبة. فإذا بحثت عن أي شيء سوى الإيمان تُحرّم من حلاوة الإيمان. فحلاوة الإيمان ليس بحلاوة إلى جانب باقي أنواع الحلاوة في العالم. فمن ذاق لذة الإيمان وحلاوته، لا يبقى مجالاً لباقي اللذات الحلوة بعد. ولهذا عندما كان الناس يهتفون في حسينية جماران ويفدون أرواحهم له، ما كان الإمام يشعر بلذة من تلك المشاعر. إذ كان الإمام قد التذّب بالإيمان بالله لذة لا تقاس بحلاوتها شيء، إذ لا تقاس محبة الله بمحبة الناس. كان السيد الإمام (ره) قد بالغ بمجاهدة نفسه وترك الشهوات والملذات فنال لذة الإيمان. على أساس حديث رسول الله (ص)، من كان همّه نيل اللذات والشهوات، لن ينال لذة الإيمان، فما بالك بمن تعلّق بهذه اللذات وراح يركض وراءها. ثم لا تقتصر اللذة والشهوة، بالشهوات الجنسية، بل تعمّ جميع مشتريات الإنسان، بعضها سلبية كالغضب الذي تطرد به شيئاً ما، وبعضها إيجابية تنجذب بها إلى منفعة ما.

لقد حَبَّبَ الله الإيمان في قلوب المؤمنين وزَيَّنَهُ في قلوبهم، فأصبح ذا جمال وجذابيَّة تسحر الإنسان. فقد قال الله سبحانه: (وَ لَكِنَّ اللّٰهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) [الحجرات/٧]. إيمان المرء يجعله قريبا من الله ويحيط الله بهذه الإنسان بعد الإيمان لكي لا يشعر بالوحشة. ولهذا يقول: ( نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) [ق/١٦] ويقول في آية أخرى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) [الحديد/٤]. وكذلك يقول: (أَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ) [البقرة/١١٥]. فلا إمكان لإنسان أن يحيط بك ويخفف من وحشتك، بل الله هو القادر على الاحاطة بك. ولا يقدر الإنسان أن يعيش وحيدا ولا يستطيع أحد أن يخرجك من وحدتك مثل الله سبحانه.

### الإيمان، يسبب النفور من المعصية

إذا ذاق الإنسان حلاوة الإيمان وأصبح الإيمان محبوبا لديه، حينئذ ينفر من الكفر والفسوق والعصيان. وكذلك يشمئز من الإيمان بما سوى الله والعمل القبيح. فإذا أدرك الإنسان قبح الذنوب وتنقّر منها، عند ذلك يحصل على مهجة جيدة لمناجاة الله سبحانه، إذ سوف يعرف مدى قباحة الذنب ودناءته، وسوف يستغفر الله ويناجيه من كل قلبه.

### في سبيل الشعور بحلاوة الإيمان لابد من تحمّل العناء وجهاد النفس

في سبيل أن يذوق الإنسان حلاوة الإيمان، لابد له من تحمّل العناء والابتعاد عن السيئات عبر جهاد النفس. فقد قال أمير المؤمنين (ع): «صَابِرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَىٰ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَ صُوتُوهَا عَنْ دَنَسِ السَّيِّئَاتِ تَجِدُوا حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ» [غرر الحكم/الحديث ٨١] يحصل الإيمان والعلاقة بالله بالعناء والشدائد لا عبر درس أصول العقائد. طبعا إن درس أصول العقائد جيّد، ولكن من أجل الإجابة عن شبهات العدو. يعني إذا أراد العدو أن يسلبك عقائدك وإيمانك، هنا يأتي دور دروس العقائد والأبحاث العقلية والكلامية.

## يعاني الإنسان أحيانا من بعض المعاناة ولكنه لا يذوق حلاوة الإيمان

لابد للإنسان أن يتعرف على نفسه بشكل جيد ولا يتحمل عناء لا فائدة فيه. إذ أحيانا يعاني الإنسان ويتحمل الشدائد ولكنها معاناة بلا جدوى لا ترفع مقامه ولا تزيقه حلاوة الإيمان. أحد الأسباب هي أنه عندما كان يعاني من بعض المشاكل والمصائب كان يصدد التعويض عن معاناته. كـبعض المتظاهرين بالتقوى الذين يراعون مقتضيات الزهد والتقوى في سبيل أن يجدوا فرصة للتعويض عن كل الأتعاب التي تحملوها في هذا المسار. فمثل هؤلاء لن يجدوا حلاوة الإيمان مهما تحملوا العناء، لأنهم يصدد العثور على فرصة يعوضوا فيها عن كل الشدائد والصعاب التي تحملوها، وفي الواقع قد تحملوا كل هذه المعاناة في سبيل الفوز براحة أكبر في هذه الدنيا. فعلى سبيل المثال من يعف عن الشهوات في سبيل أن يصل إلى جاه ومقام في هذه الدنيا، فإنه لا يذوق حلاوة الإيمان. ومثل هؤلاء الناس ينطبق عليهم قوله تعالى: (خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الآخِرَةَ) [الحج/١١]. إن شهوة الجاه والمقام تمنع حلاوة الإيمان من أن تدخل في القلب. ولعل أحد أسباب توفيق بعض الفسقة ورؤساء العصابات للتوبة والهداية هي أنهم يعرفون ماضيهم وملف أعمالهم جيدا فلا يطمعون في نيل الجاه والشأن الرفيع في هذه الدنيا عبر الحصول على المقامات العرفانية. فمن أجل أن يذيقنا الله حلاوة الإيمان، لابد أن نتحمل المعاناة والمصاعب بصدق، لا من أجل نيل غيرها من الشهوات.

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**